

عنوان الدرس : بالنعمة مخلصون

كود الدرس : les_ak_7

الكاتب: الشيخ العائد

توقفت عند هذه الكلمات، ونظرت الى صاحب العزبة، له أبناء، ويعمل في أرضه أجراء.

أما الأبناء فلهم من أبيهم كل الاهتمام.

يعد لهم الحفاضات والمطهرات ووسائل العناية قبل أن يولدوا، ويأتى اليهم بأجمل الثياب وأشهى الطعام وأجمل الهدايا قبل أن يطلبوا، يبحث عن أفضل المدارس، ويدفع المصروفات، ويقدم الهدايا ، ويشترى الثياب ، ويأتى لولده بأفضل الوسائل التعليمية؛ والطفل يلهو؛ لا يدرك ما يكابده من أجله أبوه، يشتري له الألعاب، يقدم له عجلة(بسكليتة) ، وبعد أن يكبر قليلا يعد له في المجتمع ما يليق به من مكانة، والآن لقد بلغ الولد مبلغ الرجال ؛ فلنبحث له عن زوجة!

هذا سرد ضئيل لبعض ما يقدمه الأب لكل واحد من أبنائه.

فهل يحصل الأبن على هذه العطايا نظير مقابل؟

ماذا فعل الأبن ليحصل على الحفاضات؟

وماذا قدم حتى يدفع أبوه للمدرسة آلاف الجنيهات؟

وماذا فعل كي يحصل على أشهى الطعام والثياب والهدايا والبسكليت والسيارات؟

وماذا فعل كي يتكبد أبوه آلاف الجنيهات ليقدم له عروسا هي أجمل الفتيات؟

هذا ما يحدث من الآباء نحو أبنائهم سواء كانوا فتيانا أو فتيات، ف يبحث الأب عن أفضل الرجال لابنته كما يبحث لابنه عن أفضل الفتيات.

والسؤال الذى نعاود طرحه :

هل قدم الأبناء شيئا يجعل لهم أى حق فى الحصول على هذه المنح؟

كلنا يعلم أن الإجابة: لا.

يضحى الآباء بكل شئ من أجل تمهيد الطريق لأبنائهم وإحاطته بالورود،

فليس للآباء من هدف سوى توفير السعادة للأبناء، فى الحاضر، وفى المستقبل.

وتلك هي النعمة.

وأذكر حين طلب جاري قرضا صغيرا من صديق؛ من أجل إحضار هدية لابنته بمناسبة يوم ميلادها. لم تكن الطفلة في حاجة للهدية، ولكن الأب يريد أن يدخل السعادة على قلب ابنته حتى ولو اضطره ذلك للاقتراض! إنها النعمة... عطاء بغير مقابل، ولغير حاجة، بل يفوق أطماع الأبناء، ومهما تكبد لتحقيقه الآباء. والآن هيا ننظر إلى الأجير.

لا بد أن يكذب يومه حتى يحصل على ما يرضاه سيده من أجر. وليس له حق المطالبة بالمزيد.

هل يكفيه هذا الأجر؟

هل يلبي احتياجاته؟

هل يتيح له مسكنا أفضل؟

هل يسمح له بدخول القصر؟

هل يتيح له تقديم هدية لابنته في عيد ميلادها؟

تشغل هذه الأشياء الأجير، أما السيد فليس له بتلك الأشياء من شأن.

لقد أدى الرجل عملا وحصل نظير ذلك على أجر، و لا يحق له طلب المزيد.

هذا هو الأجر.

إن الأعمال الصالحات تمنحك الحق في الحصول على الأجر، ولكن هل يكفيك هذا الأجر للنجاة؟

وهل يمنحك ذلك الحق في دخول القصر؟

ألا ترى أن النعمة أفضل من السعي للحصول على اجر؟

يحصل الابن بالنعمة على أجمل الهدايا وأفخر الثياب، و كل الرعاية، و كل العطايا، ويعلم أن ذلك يوهب له دون وجه للاستحقاق، يرتدى من ثياب أبيه، ويتناول الطعام على مائدة أبيه، ويستلقى عند المنام في قصر أبيه، وفي الفراش الذي أعده من أجله ابوه، ويمضى واثقا مطمئنا أن هذا القصر هو قصر أبيه، ...

ولا تحمل أصابعه نظير ذلك سوى الأذهار.

ويحصل العامل بالجهد على خشن الطعام، وخشن الثياب، و خشن المنام، و عليه كى يحصل على ذلك أن يحمل الأحجار، فإن تكاسل قيل له : أتظن أنك تمرح فى بيت أبيك؟

سمعت محاضرة للمفكر البريطانى ديريك برنس، وقد عقد مقارنة بين مجتهد يشق الطريق واثقا من تلك الخريطة التى بهتدى بها، وآخر سار مطمئنا خلف أبيه.

هل يعانى الثانى متاعبا كتلك التى يعانيتها متتبعى الخرائط ؟

إن ملايين المتدينين فى أنحاء العالم يسرون وفق خرائط ، وكل منهم يظن أنها الصحيحة، ويقع الجميع فى المستنقعات،

فهل يقع فى المستنقع من سار مطمئنا خلف أبيه؟

هذا هو الفارق بين العمل والنعمة.

فهل نتوقف عن أداء الصلوات ومكابدة الصيام والجرى خلف الأعمال الصالحات؟

نراجع معا " أنتم مخلصون بالنعمة".

ضع نفسك فى المكان الصحيح الذى اختاره الله لك، وتشبث بكف أبيك، واثقا من الضياع ان تركت يده، بحملك ليعبر بك الطريق، تدرك) كما كنت تدرك فى طفولتك) أن أباك قد أعد لك كل ما يحقق لك السعادة قبل أن تعرفها، وبدون أدنى استحقاق، إنها نعمة، وعند ذلك فلن يكف لسانك عن ذكر ابيك (كما كنت تفعل فى طفولتك) ، ولن تفكر فى أخذ شئ لم يقدمه لك أبوك، فقد اطمأن قلبك الى أن الهدايا التى أحضرها لك أبوك أفضل مما يقتنيه سائر الناس!

● يصبح العمل الصالح فى هذه الحالة شكرا .

● يصبح العمل الصالح وقتنذ صبغة؛ تصطبغ بها دماؤك فلا تشتهى نفسك إلا الصلاح.

● يصبح العمل الصالح بعد ذلك فطرة، كطلب الطعام وطلب المنام، لاتغالب فيه نفسك بل تتلهف – مستمتعا – للقيام بكل عمل صالح.

وبينما يتجنب العبد إيذاء الأزهار خوفا من العقاب، يحرص الابن على رعاية الأزهار ، فهى فى مملكة أبيه ؛ أى مملكته.

وبينما يتوارى العبد المخطئ من سيده خوفا من العقاب، يهرع الابن الخاطئ الى أبيه طلبا للنجاة.

يقول الأجير إن لم أحسن العمل يستبدلنى سيدي، ويقول الابن إن لم اطلب النجاة من أبى فمن يغطى أمام الناس سوءاتى، ومن غيره يهتم لنجاتى؟

يمضى الأجير فى ملك سيده كسيرا، ويمشى الأبن فى ملك أبيه فخورا.

فهل يتساوى الذين قبلوا الخلاص بالنعمة مع هؤلاء الذين يسعون الى النجاة باستخدام الكفاح؟

ارجو مقارنة مزايا الأبن وأعباء الأجير قبل الإجابة على سابق السؤال.

وقبل أن أنتهى، أذكر القارئ الحبيب أن أبى سوف ينهرنى إن تطلعت للحصول على لعبة أخى؛ فقد أحضر أبى لى كل ما أحتاج وكل ما لا أحتاج، فإن رغبت فيما ليس لى أصبحت فى عينيه متجاوزا؛ وحق لى منه التوبيخ الشديد.

لقد جعلنا الأب شركاء له فى قصره، فلا أقل من التحلى بصفات النبلاء.

بالنعمة نحن مخلصون ولدى صاحب الملكوت معززون.